Vol.2. No.2, Dec, 2013 ISSN: 2090-5890

الإعلام العربي الجديد بين الواقع والطموح

د. رائد احمد البياتي
كلية الإعلام- جامعة الشرق الأوسط

الملخّـــــص :
تهدف هذه الدراسة إلى استقراء الواقع الإعلامي العربي في ظل الواقع الدولي الجديد، واستكشاف مواطن الضعف والخلل في صناعة إعلام عربي قادر على مواكبة هذا الواقع في ضوء تداعيات العولمة وما أفرزته من تأثيرات دولية كان لمنطقتنا العربية نصيب كبير منها. ويطمح هذا البحث إلى وضع تصور بسيط لطرق معالجة القصور في الأداء الإعلامي العربي، ووضع تصور جديد لإعلام عربي قادر على التصدي لمحالاوت طمس وتذويب الهوية الثقافية القومية والوطنية. وخلصت الدراسة إلى أن هناك تغييرات كبيرة رافقت ظهور مجتمع المعلومات الحديث، وفرضت واقعا إعلاميا دوليا جديدا.

Abstract

This study aims at extrapolating the Arab media situation under the new international situation, and exploring the areas of imbalance and weakness in developing of an Arab media capable of coping with these developments. This extrapolation has to be done in light of the consequences of globalization and its international impacts which our region has been greatly influenced. The study seeks to develop a simple perception of ways to address the shortcomings of the Arab media performance, and provide a new vision for an Arab media capable of confronting the attempts of submerging and destroying the national and pan-Arab cultural identity.

المقدمـــــــة:

شهد الوطن العربي خلال العقد الأخير من القرن الماضي والعقد الأول من القرن الحالي، تحولات شملت مناحي مختلفة من المشهد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتمثلت إحدى نتائج هذه التحولات في تشكيل رؤية واضحة لضرورة وجود وبناء نظام عربي حديث يقوم على مبدأ التعددية السياسية والحزبية ويكفل الحريات العامة لأبناء هذا الوطن. ولا يسع المتابع لهذه التحولات إلا أن يؤشر بعض التطورات السياسية التي يمكن أن تؤشر بدايةَ لمرحلة جديدة تبلورت فيها بشكل واضح المفاهيم الديمقراطية والتشجيع عليها من خلال الأحزاب السياسية المؤثرة التي دخلت المشهد السياسي بتأثيرات الواقع الجديد وتطوراته، وبزوغ الدور الفعال والمؤثر لجيل الشباب، فضلا عن ظهور العديد من منظمات المجتمع المدني والمنظمات التي تمثل المرأة والمنادية بحقوقها، فكل هذه التطورات وغيرها ساهمت في خلق ووضع سياسي جديد سقفه العالي حرية الفكر والكلمة والمعتقد، ومجاله التطبيقي في المشاركة السياسية الايجابية والفعالة لبناء نظام عربي جديد قائم على الحرية والتعددية والقبول بالأخر. كما يلمس المراقب للوضع العربي اهتماما ملموسا بصناعة المعلوماتية وتبني آليات جديدة تواكب التطورات الاقتصادية والتي تتجه نحو سياسة الانفتاح الاقتصادي وإتباع اقتصاديات السوق وتحرير الاستثمارات والتجارة والاندماج في السوق العالمي.

كما ظهرت في الساحة العربية حركات اجتماعية لها مطالبات جدية ورؤى عملية قائمة على ضرورة مكافحة الفقر والتهميش الموجود لبعض طبقات المجتمع، ومحاربة ظواهر الفساد وما ألت إليه من عوامل الفقر ساهمت في تفشي ظاهر الفقر والبطالة في المجمعات العربية. وهكذا تأسست رؤية واضحة لمحاربة الفساد والمفسدين والفقر والبطالة بجميع أشكالها، وبدا واضحا موضوع الاهتمام بتطوير التعليم بمستوياته المختلفة؛ وتحسين مدخلات التعليم العالي لضمان جودة مخرجاته؛ نظرا لأهمية الجودة وضمانها في حسن بناء المجتمعات وبجميع المجالات، كما يلاحظ بشكل واضح تعميم استخدامات الحاسوب في جوانب متعددة من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، وتضمين تكنولوجيا المعلومات في النظام التعليمي بمستوياتها المختلفة، وإن كان ذلك يتم بدرجات متفاوتة وحسب القدرات الخاصة بكل دولة من دول الوطن العربي.

أن هذه المنظومة المتكاملة من الأولويات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتربوية التي تساهم في بناء عالم عربي جديد يسعى لان يكون له دوره

الواضح والمميز بين الأنظمة المختلفة السائدة في العالم الحاضر، تفرض القيام بكثير من الجهد الإعلامي، ومن المعروف والبديهي بأن للإعلام قدرة وحركة مؤثرة في مجمل التحولات التي يمكن أن تحصل في المجتمعات المختلفة، كما أن له إمكانية المساهمة الفعالة في عملية التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من خلال محاربة بعض الممارسات أو الحد منها، أو قدرته على توجيه حركة المجتمع والرأي العام في اتجاه جديد، أو زرع بعض القواعد والقيم السلوكية التي تساهم في البناء الايجابي للمجتمعات وتنظيم العلاقات السلوكية على النحو المرجو. ومن هنا برزت الأهمية التي يجب إيلائها للإعلام العربي والعناية بصياغة هذا النظام على أسس تحقق الغاية والهداف المطلوب تحقيقها، ويجب النظر إلى موضوع بناء نظام إعلامي عربي حديث نظرة شمولية باعتباره عنصراً حاسماً في البناء الديمقراطي، وله أدواراً جوهرية في بناء المجتمع وتطوير منظومة القيم وتشكيل المعرفة والاتجاهات والممارسات المطلوبة.

كما إن التطورات الحديث في التقنيات المستخدمة في وسائل الاتصال قد ساهمت في حدوث بعض التغييرات الجذرية في جانب مهم من معتقدات وقناعات المجتمعات وثقافاتها، وهذا ما انعكس بشكل واضح في تغيير مجرى حياتها مادياً واعتبارياً http://us.mc538.mail.yahoo.com/mc/welcome?.gx=0&.rand=f5tbjuu29ca12 - ftn1، ولا توجد مبالغة في القول بأن الإعلام ربما كان المجال الأكثر تأثراً من سواه في ثورة التكنولوجيا بسبب ضرورات استخدام هذه التكنولوجيا، وما نتج عنها من تغيير في أساليب صياغة الرسالة الإعلامية وطريقة إيصالها وتلقيها من المستهدفين منها أفراداً وجماعات .

١- أهمية البحث

انبثقت أهمية هذا البحث من حجم المهام والمسئوليات الملقاة على الإعلام العربي الراهن، والدور الذي يمكن أن يؤديه في بناء نظام عربي جديد، فلقد اثبت الإعلام دوره في عملية التغيير التي طالت بعض البلدان العربية وما أفرزته من تغييرات مجتمعية وسياسية طالت دولا عديدة، كما أن تداعيات هذه التغييرات كبرت لتشمل النظام العربي القائم برمته، وهي مستمرة، وظل الإعلام لاعبا أساسيا في هذه العملية، مسلطا الأضواء عليها تارة ومحرضا عليها تارة أخرى، فادوار الإعلام اختلفت باختلاف الجهات التي تسيطر على وسائل الإعلام من جهة وبالإمكانيات التقنية والمادية والمهنية لكل وسيلة من جهة أخرى.

٢- هدف البحث

يهدف البحث إلى التأكيد على ضرورة بناء نظام إعلامي عربي جديد يمتلك الأسس والمستلزمات التي تؤهله لتأدية الدور المطلوب منه في المرحلة الراهنة من تاريخ امتنا العربية، إعلام قائم على تشجيع مبدأ التعددية واحترام الرأي والرأي الآخر وعرض وجهات النظر المختلفة في مناخ من الاستقلالية والحرية المسئولة، والتعبير عن القضايا الوطنية، فضلا عن التعبير عن أمال وتطلعات وإرادة الجمهور العربي بكافة فئاته وأطيافه، إلى جانب التأكيد على ضرورة ممارسة الأداء الإعلامي بصورة تقوم على المهنية والتميز والإبداع والحرية المسئولة، واستقلالية مؤسسات الإعلام وإداراتها من خلال استقلالية القرارات الخاصة بكل المؤسسات الإعلامية العربية، بحيث يتاح لهذه المؤسسات ممارسة دورها الرقابي في المجتمع في مناخ يسود فيه سقف عال من الحرية والمهنية على حد سواء.

٣- منهجية البحث

إن منهجية البحث تركز على إتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي ينظر إلى الظاهرة موضوعة الدراسة بشكل شمولي ومن ثم دراستها من مختلف جوابها بعد الفحص والتقييم.

٤- فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها: إن زيادة مساحة الحرية المسئولة والشفافية والتعامل الخلاق مع التقنيات الحديثة هي العناصر الأساسية التي تسهم في خلق نظام إعلامي عربي قادر على الولوج في عصر عولمة الإعلام.

أولا: الإعلام العربي وتحديات العولمة:

أفرزت ظاهرة العولمة الكثير من التداعيات وعلى أكثر من مستوى، وما يهمنا بهذا الخصوص التحديات الخطيرة يواجهها وطننا العربي نتيجة الغزو الفكري والثقافي الذي أنتجته العولمة الإعلامية. فكما هو معروف بان الدول الغربية توجهت إلى العقل العربي من خلال إعلام صنعته لغرض تغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشاهده، عبر مضامين من الإساءة والتشويه التي لا ينجو منها أي بلد عربي أو إسلامي. فهي تعمل على تكريس وغرس قيم وصور غريبة في مجتمعنا وثقافته، ولا تتناول من أحداث العالم إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريده وترغب فيه، وبما يحقق مصالحها وأطماعها.

وانعكست إحدى نتائج ثورة الاتصالات على دور الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السلاح، فبعد أن كان توزيع الصحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصدر به، جاءت وسائل الاتصال الحديثة من أقمار صناعية وانترنت لتلغي الحدود المكانية والزمانية بين الدول وتوصل المعلومة للقارئ أينما كان، وبنظر خبراء الإعلام فان أهم تطور اتصالي في مجال البث التلفزيوني حدث منذ أن تلقى الإنسان أول صور حية لرائد الفضاء الأمريكي نيل ارمسترونك "Neil Armstrong" وهو يطأ بقدمه ارض القمر في ٢٠ يوليو من عام ١٩٦٩، فكان هذا الحدث فتحا اتصاليا جديدا أبعد القلق الذي كان يساور القائمين على وسائل الاتصال بمختلف أشكالها حول

إمكانية متابعة الأخبار والأحداث ونقل المعلومات إلى الجمهور على أوسع نطاق . ومنذ ذلك الحين أصبح بمقدور الفرد في أي مكان من العالم أن يتلقى المعلومات عن كل ما يحدث في العالم لحظة وقوعها. ولكن وفي ظل انعدام أو ضعف إعلام عربي متمكن ومتسلح بالإمكانيات المطلوبة فقد بقى المتلقي العربي أسيرا لما يتلقاه من خلال ما يتلقاه من الإعلام الغربي بكل ما يرافقه من التحريف والتضليل والإساءة للثقافة العربية وتراثها؛ وبحسب أهداف الجهة التي تقوم بتسيير تلك المعلومات. ويزداد هذا الخطر عندما يسيطر طرف واحد على معادلة نقل المعلومات، فمن المعروف بان المعلومات تسير باتجاه واحد من دول الشمال إلى دول الجنوب، حيث سيطرت البلدان الصناعية المتقدمة على كل الوسائل الاتصالية وصناعة الإعلام، فعلى سبيل المثال فمن مظاهر استمرار الهيمنة الغربية على تكنولوجيا الاتصال والإعلام سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على أكثر من ٦٥% من تدفق الأنباء في العالم، وعلى ٣٥% من عمليات النشر، و٦٤% من الإعلام، و ٤٥% من التسجيلات، وعلى ٩٠% من أشرطة الكاسيت والأقراص المدمجة، وعلى ٢٨% من الأغاني الإذاعية، وعلى ٧٥% من البرامج التلفزيونية، وعلى ٧٢% من صناعة أجهزة الحاسوب وباقي الأجهزة الالكترونية، وعلى أكثر من ٩٠% من المعلومات المخزنة في البنوك والمراكز الخاصة بالمعلومات في العالم .

أن الخطر الثقافي الوافد عبر الإعلام الغربي، يصبح أكثر خطورة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، من وسائل الإعلام المكتوبة وذلك لاستحالة السيطرة على مضامينها التي تدخل بيوتنا بلا استئذان. ويؤدي عامل التقدم التكنولوجي الكبير في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال دورا هاما في هذا الجانب، إذ اكتسبت الوسائل المسموعة والمرئية القدرة على اختراق الحدود القومية للدول بدون استئذان عبر البث الفضائي. وبالتأكيد فان الأقطار العربية من البلدان التي تقع تحت تأثير هذا الإعلام الفضائي الوافد وبخاصة البث الفضائي التلفزيوني والانترنيت. فمعلوم للجميع بان الدول العربية سمحت باستخدام البث الفضائي، وأدخلت خدمة الانترنيت للجمهور على نحو واسع، وعبر هذه الحرية المتاحة في الوصول إلى المعلومات بدون رقيب، فلقد تمكن الإعلام الأجنبي من النفاذ إلى عمق المجتمع العربي ومخاطبته بشكل مباشر برسائل ذات مضامين مختلفة، منها الغث ومنها السمين. وما يهمنا في هذا الصدد، هي تلك المضامين الهدامة لبعض الرسائل والتي تسعى إلى هدم وطمس الشخصية الوطنية للمواطن العربي وثقافته العربية والإسلامية.

ومن المهم في هذا الصدد التذكير بشكل سريع بخطورة الإعلام الوافد، وذلك عبر المضامين الغريبة التي يحملها والتي بدأت تروج لها بعض وسائل الإعلام العربية. فواقع الحال يشير إلى مساهمة العديد من وسائل الإعلام العربية بتعميق الغزو الفكري الأجنبي من خلال إعادة عرض بعض البرامج الغربية خاصة تلك التي تسمى (تلفزيون الواقع)، لتتحول بهذا النحو إلى متلقية سلبية لاسيما وأنها لم تأخذ بالحسبان الأنماط الاجتماعية والقيم التي تسود مجتمعاتنا العربية والإسلامية. فمثل هذه البرامج صنعت أصلا لمجتمعات غير مجتمعاتنا، وهي تروج لمفاهيم وأنماط من السلوك بعيدة كل البعد عن واقعنا، فمواضيع مثل برامج المسابقات الغنائية، وعرض الفتيات للزواج أو ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم، أو العرض المتكرر لمواضيع ممجوجة كالشذوذ الجنسي، أو ممارسة الجنس لكن بظروف صحية سليمة لتجنب الأمراض، وغيرها مما قد لا يتسع المجال لذكرها، مفاهيم يقصد منها تهيئة الفرد لقبولها على أنها حقائق مسلم بها، فالعيب ليس في الشذوذ الجنسي، وإنما العيب بعدم قبوله كواقع اجتماعي، والخطر ليس في ممارسة الجنس بعيدا عن الشرع، وإنما العيب بممارسته بكثرة خارج نطاق الحياة الزوجية، وغيرها من المفاهيم التي تدفع إلى الرذيلة أو إلى العنف والإجرام. وهكذا نجد بأن معظم برامج القنوات الفضائية العربية –وأكثرها نسخة معربة من البرامج الغربية- يغلب عليها المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، وتطغي على ثقافة الصورة أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل في:

- الدعوة إلى الانفصال عن الواقع الاجتماعي العربي وعاداته وتقاليده.
- شيوع حالات من الانكسار النفسي وعدم الأمان كنتيجة عرضية للتعرض لمحتوى البرامج الغربية الوافدة والتي تحمل مضامين وأفكار قائمة على الاستعراض والتمشهد وهما سمتان بارزتان في مجال نقل المعلومات بواسطة التلفزيون .
- التأكيد على إثارة الغرائز والدفع باتجاه الانحراف.
- تعميق الشعور بالفردية وحب الذات وتعميق روح الأنانية.
- تعميق المشاعر العدائية تجاه الآخرين.
- الدفع نحو الانحراف.

أن هذه المفاهيم وغيرها المقولبة في شكل البرامج التلفزيونية الوافدة تجد لها مرتعا خصبا في عقول الشباب والمراهقين في مجتمعنا، فهم الفئة الأكثر تأثرا من بقية الشرائح المجتمعية بنتائج هذه الثقافة الإعلامية التي تعيد تشكيل معارفهم وسلوكهم، بحيث تتحول هذه المضامين من مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي.

وفضلا عن ذلك، فان أشكال البرامج ونوعية الإعلانات التي تقدمها معظم الفضائيات العربية يمكن أن تخلق الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الروح الفردية والنزعة الاستهلاكيّة، والهروب من التصدي لمشكلات الحياة، والاستسلام لما يراد، والانبهار بالموديل الأجنبي

على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية الوطنية والقومية، وإشاعة اليأس والإحباط.

وتشير العديد من الدراسات العلمية إلى أن القنوات الفضائية العربية، والخاصة منها بالذات، بدأت تتسابق على إرضاء الجمهور العربي، وخاصة الشباب، واجتذابها لهم بأي صورة، وذلك عبر تقديم بعض المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، بالذات تلك التي تحاول إشاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية. فعلى سبيل المثال، نجد بان طريقة تقديم الأغاني المصورة (الفيديو كليب) في الفضائيات أصبح يضاهي طريقة تقديم النسخة الأجنبية منها، فهي مليئة بمشاهد تثير الغرائز، بحيث يجد المشاهد نفسه يتابع الصورة بدلا من متابعته لمضمون الأغنية. والخطورة لا تقف عند هذا الحد، بل تمتد لتصبح النماذج الشخصية التي تقدمها هذه الأغاني، هي النموذج الذي يريد الكثير من الشباب الاحتذاء به، في السلوك ليصل إلى الملبس أو طريقة المشي... فأصبحنا نلاحظ وجود تقليد أعمى لهذا المضمون الهابط .

ومن الأهمية بمكان الانتباه إلى أن هذه الظاهرة قد تجد لها امتدادا في التوجهات السياسية والفكرية الملغومة التي تسعى لتدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه.

ومما تقدم فهناك الكثير من الأسئلة التي يمكن أن تثار، ولكن السؤال الأهم: هل سنقف مكتوفي الأيدي ونستسلم لهذا الواقع الجديد؟

وما الذي علينا أن نقوم به لمواكبة هذه التطورات في مجال الإعلام، الذي أصبح يرسم خريطة جديدة للمجتمعات عبر الهامش الكبير من حرية التعرض للمعلومات والأفكار الجديدة؟.

صحيح أن هناك محاولات لاحتواء وتقليص الزخم الإعلامي والمعلوماتي الوافد، ولكن يبدو أن هذه المحاولات لم تؤت أكلها، ونحن اليوم أمام وضع إعلامي عربي معقد وغامض يغلب عليه الصراع بين مجموعة من الأطراف المتفاوتة في التأثير والقوة، وهذه الأطراف هي:

- الطرف الأول وهو الجمهور الذي ضمنت معظم الدساتير والأنظمة حقه في الحصول على المعلومات والتعبير عن رأيه ومعتقداته. وهنا لعبت التقنيات الحديثة وتطور الوسائل الاتصالية دورها في زيادة الفرص المتاحة أمام الجمهور في الوصول إلى المعلومات بعيدا عن الرقابة في أكثر الأحيان، أو بمستوى معين منها في حالات أخرى. وما يهمنا في هذا المجال؛ ما رافق السهولة في الحصول والوصول إلى المعلومات من تدفق غير مسيطر عليه في المعلومات، وزيادة الفرص المتاحة لحرية الرأي والتعبير بعيدا عن ظروف الرقابة أو المنع.
- أما الطرف الثاني فهو الإعلام بوسائل المختلفة، فهناك الإعلام الرسمي الذي يمثل التوجهات الرسمية للدول والحكومات، والذي يحظى بالدعم المختلف الأشكال، ولكنه وبرغم كل أشكال المساندة والدعم فانه لم يقدم نفسه بديلا عن الإعلام الوافد، كما انه لم يستطع ان يستوعب حاجات ومتطلبات الجمهور. ومقابل الإعلام الرسمي يقف الإعلام الخاص بوسائله وإمكاناته المحدودة، فهو يحاول أن يخلق البديل المطلوب وان يسد الفجوة المعرفية والثقافية التي تتوسع يوم بعد يوم بين ما هو مطلوب وبين ما هو قائم وواقع. فهو إعلام يكتوي بين نار القيود التي تفرضها بعض القيود الرقابية والقوانين المفروضة عليه، ونار ضعف إمكانياته البشرية والتقنية والمادية.
- ويتمثل الطرف الثالث في الإعلام الأجنبي الوافد بلغتنا العربية، وهذا الاهتمام بدأ قديما مع الاهتمام الغربي في المنطقة العربية منذ أيام الاستعمار ومحاولة هذا الطرف أو ذاك بسط نفوذه في المنطقة العربية، وقد اتخذ الإعلام الوافد أشكال شتى وكانت له غايات متنوعة بتنوع الهدف السياسي القائم وراء توجهاته. ومن الملاحظ بان هذا الاهتمام قد تم تعزيزه بشكل لافت للنظر بعد التداعيات الخطيرة التي أفرزتها ظاهرة العولمة، وتعزز بشكل أكثر بعد أحداث ١١ سبتمبر وغزو أفغانستان والعراق وما أفرزته هاتان الحربان من تداعيات، حيث توجهت أطراف دولية وإقليمية إلى مخاطبة الجماهير العربية بأسلوب جديد تحقيقا لغاياتها وأهدافها يتماشى مع الأوضاع الدولية الجديدة. ويجد المتابع لهذا الشأن أشكالا عديدة لهذا الاهتمام وهذه التوجهات، ونورد مثالا لها القنوات الفضائية التي استحدثت في بدايات العقد الأول والثاني من القرن الحالي. وعلى سبيل المثال خصصت الإدارة الأمريكية موازنات ضخمة لأنشطة العلاقات العامة وبحوث الإعلام واستطلاعات الرأي العام وذلك بغرض تحسين سمعتها التي تضررت كثيرا بسبب الحروب التي خاضتها خارج حدودها في أماكن مختلفة ابتداء من جنوب شرق أسيا مرورا بأمريكا الجنوبية وانتهاء بالعراق، وأطلقت إذاعة "سوا" وقناة "الحرة" الموجهة إلى الجمهور العربي (الجمهور الأكثر تضررا من سياسات الولايات المتحدة)، وفي خط موازي أطلقت كل من فرنسا وألمانيا وروسيا فضائيات ناطقة باللغة العربية، كما أطلقت بريطانيا النسخة العربية من محطة الـ bbc. ولا شك في أن هذه القنوات الدولية والتي تتمتع بمصادر تمويل كبيرة وتتسم بحرفية عالية وخطاب إعلامي- دعائي جذاب، فضلا عن بعض القنوات الإقليمية كالفضائيات الإيرانية والتركية، تعتبر الذراع الإعلامي لنشر التوجهات السياسية للدول التي تقف ورائها، كما تعمل على الترويج لأفكار وقيم

ومعتقدات وتوجهات سياسية لابد وان تتعارض في مناحي كثيرة مع ما هو سائد أو مطلوب في منطقتنا العربية، فضلا عن تعارض ما تشيعه هذه القنوات من ثقافات متعارضة مع الإرث الثقافي العربي.

أن هذه الحقائق توجب علينا الإقرار بان الانفجار ألمعلوماتي الراهن والمنجزات التقنية في زمن العولمة لا يلغي الحقيقة بأن الثورة الحضارية ينبغي استيعابها وتقبلها بوعي واستيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين علي الإفادة منها.

ثانيا: البث الفضائي الوافد ...الايجابيات والسلبيات:

لقد تخطى دور الإعلام وعملية الاتصال في يومنا الحاضر مهمة نقل وتبادل المعلومات والأفكار، ليصبح هذا الدور يتضمن عملية المساهمة الفعلية في تكوين الحياة وبكل أبعادها السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال القدرات الهائلة التي تمتلكها وسائل الإعلام في دعم الاتجاهات لدى الأفراد والجماعات أو تعديلها أو تغييرها.

ولم تعد إشباع الاهتمامات والرغبات وغرس المعلومات الجديدة هي المهام الوحيدة لأجهزة الاعلام، بل أصبح موضوع صناعة إهتمامات جديدة، وإعادة تشكيل المحتوى الثقافي للإنسان، يدخل في صلب الواجبات الجديدة للعملية الإتصالية وأجهزة الإعلام، التي تمتلك أوعيتها الإعلامية المختلفة والتقنيات المتطورة لنقل وتبادل الرسائل والمعلومات.

ورغم كل ما قيل عن مخاطر البث الفضائي إلى المنطقة العربية الوافد باعتباره جزءا من منظومة الإعلام الجديد ودوره في عملية تاسيس جديد لمنظومة الفكر والقيم العربية، فلا بد ان نوضح بداية بان لهذا البث الوافد ايجابياته فضلا عن سلبياته، فاما السلبيات فسنؤجل الحديث عنها مؤقتا لحين بيان الايجابيات، وإن كانت الكفة تميل إلى السلبيات أكثر منها من الايجابيات. فمن الانصاف القول بان هذا البث الوافد قد حمل مضامين جديدة ساهمت في عملية الانفتاح الثقافي والفكري وكسرت حلقة الجمود المغلقة، وفتحت الأبواب أمام التلاقح الطبيعي الطبيعي بين شعوب وامم مختلفة كانت المسافات والحدود عائقا أمام التواصل بينها، لقد تعرفت الجماهير العربية على ثقافات وقيم لشعوب كانت مجهولة بالنسبة لها في يوم من الايام، وخبرت تجارب لامم وشعوب لها تاريخ انساني طويل، وتكشفت امامها حقائق واحداث مرت بها مناطق في اقصى وادنى الارض، ومثلما كان لهذه الشعوب حقها في تقييم ذاتها وتجاربها، فللجمهور العربي حقه في تقييم هذه التجارب والاستفادة منها. فالفائدة الأولى تحققت عبر الاطلاع على هذه التجارب والاستافدة من خبرات هذه الامم والشعوب. وتمثلت الفائدة الثانية في تحقيق الذات الانسانية العربية في حقها بالتعرف على كل ما يحصل حولها من أحداث وامور، فالتاريخ الإنساني عبارة عن سلسلة مترابطة الحلقات تكمل كل واحدة منها الأخرى، فلا يستطيع الإنسان المعاصر ان يعيش معزولا في عالم جديد تكسرت فيه كل الحدود والقيود. اما الفائدة الأخرى، فهي تحققت على صعيد الانتاج الإعلامي نفسه وصناعة الاتصال، فقد رأى الجمهور واختبر بنفسه الكيفية التي تجري فيها صناعة الإعلام وصياغة الرسائل الإعلامية في العالم المعاصر. هذه باختصار بعض أهم الايجابيات التي تحققت من تعرض الوطن العربي إلى البث الفضائي الوافد، ولا مجال في هذا البحث للخوض في جميع الايجابيات وانما اكتفينا بذكر المهم منها فقط.

واستناداً إلى ما تقدم وفي ظل النظر إلى الإتصال على انه طريقة للتفكير لا تقتصر فقط على الخطابة في الجماهير، بل تشمل السلوك الإنساني كله ، فانه يمكن إدراك خطورة نمط الإعلام الفضائي، ذلك إن العالم يشهد ميلاد بيئة إعلامية جديدة تمتلك الصفة العالمية التي تجاوزت شكل الإعلام المحلي أو الإقليمي أو القطري، بل وحتى الإعلام القومي. وهذه الصفة العالمية للإتصال، جعلت عملية التواصل بين الشعوب والمجتمعات تتخطى الحدود القومية للدول، واصبح هذا التواصل لا يخضع لحقوق الدول في السيطرة على ما يقدم لشعوبها من معلومات عبر قنوات الإتصال المتاحة لديها. ويمكننا القول بان البيئة الإعلامية الجديدة امتازت بالخصائص آلاتية:

١. فورية الاتصال وآنيته.
٢. التحرر من القيود الزمانية والمكانية.
٣. التحرر من الحدود الرقابية أو التخفيف منها.
٤. تعدد وسائل التواصل والاتصال.
٥. شيوع صفة التفاعل والمشاركة بين المرسل والمستقبل.

وبالرجوع إلى الحديث عن ايجابيات البث الفضائي الوافد فان الخطورة تنبع من طبيعة المواد والمعلومات التي تنقلها والتي تحمل رسائل ومضامين إعلامية وضعت وصممت من قبل المرسلين لهذه الرسائل وبما يخدم توجهات القائمين بالإرسال.

وفي ظل التطورات الدولية المعاصرة وما افرزته مفاهيم العولمة بكل اشكالها في الهيمنة والاستحواذ على العالم تارة بالقوة العسكرية وتارة عبر غرس القيم والثقافات التي تؤمن بها، نلاحظ بان الحصة الكبيرة من محالاوت الهيمنة والاستحواذ كانت من نصيب المنطقة العربية المتميزة بثقافتها الإسلامية ومعتقداتها القومية وتماسكها الفكري وبنائها العقائدي الذي يميزها عن بقية الشعوب والمجتمعات. بل إن طبيعة البث الموجه إلى المنطقة العربية استهدف كل تفاصيل الحياة اليومية وبشكل أريد منه مسخ العادات والتقاليد السائدة واستبدالها بنموذج جديد من الممارسات الدخيلة التي بدأت تتعمق جذورها من خلال المضامين التي تحملها المواد التي أعدت للبث من قبيل الفضائيات ليشاهدها المواطن العربي.

وبالرغم من إن نجاح التأثير على الأفراد والجماعات مرتبط بعوامل عديدة، إلا أن ذلك لا يمنع وجود تأثيرات سلبية لهذه القنوات، وتعمل الدول جاهدةً في الحد منها، مثل منع استخدام أجهزة البث الفضائي، أو استخدام منظومات خاصة بالبث بحيث يخضع البث الوافد إلى عملية تقنين في فرز القنوات ثم إعادة البث من قبل محطة مركزية تقوم بحجب القنوات الضارة والتي تقدم مواد هدامة، كما هو الحال في منظومة الرافدين التي كانت تعمل في العراق قبل الاحتلال العسكري عام ٢٠٠٣.

لقد كتبت العديد من البحوث والدراسات التي تحذر من المخاطر الجسيمة التي قد تنجم عن الوضع الإتصالي الجديد والمحاولات التي تجري لطمس الخصوصيات التي تميز الثقافات الوطنية واحتواء المعالم الحضارية التي يختص بها كل مجتمع أو أمة عبر المضامين التي تحملها المواد الإعلامية، فضلاً عن المخاطر الدعائية الناجمة عن تسليط ثقافة على أخرى، وما تعنيه من انحراف في الأفكار والتهديدات الاقتصادية والأمنية للمجتمعات الموجه إليها البث الفضائي . كما افاضت الدراسات الأخرى التي تناولت ظاهرة الإعلام الفضائي في الحديث عن الأضرار التي ثبت أنه يحدثها في الحياة البشرية والاجتماعية وخاصة في المجتمعات النامية والمجتمعات الإسلامية ومنها المجتمع العربي. فيرى الكثير من الباحثين إن القنوات الفضائية لها سلبياتها فيما يتعلق في المآخذ العقائدية والثقافية والأخلاقية والسياسية على مضامين العديد من البرامج والمواد التي تقدمها بهدف جذب انتباه المشاهدين وذلك عن طريق تقديم الممنوع عرضه في بلدان هؤلاء المشاهدين لمخالفته الشرع أو القواعد والأصول الاجتماعية المعمول بها، وبذلك يعتبر مثل هذا البث الفضائي ضرباً من الاختراق للمقاييس الأخلاقية والثقافية للمجتمعات . كما إن البث الفضائي ساهم في إبراز قضايا اقتصادية وسياسية على حساب قضايا أخرى قد تكون أهم منها عند المجتمعات التي يوجه إليها البث الفضائي. كما لاحظ الباحثون أيضا بان الكثير من تلك الفضائيات تقدم عروضاً وبرامج ونصوص غير ملائمة لفطرة البشر السوية مما أسهم في تهديد الدول، وفرض سياسات كونية لم يكن لها أن تُقبل لولا ترويج القنوات الفضائية تعميماً وتسويقاً . وهكذا نجد بان هذه الفضائيات ومن خلال الطبيعة المنحرفة للمواد التي تقوم بعرضها أو المضامين المخالفة للقيم والأخلاق، أصبحت وسيلة فاعلة في التأثير على المجتمع العربي من خلال دعوتها لتفشي الرذيلة والانحلال وتشجيع مارستها بإشاعة صور ارتكابها وإثارة الرغبة فيها بشتى سبل الفتنة، مع ما يصاحب ذلك من نشر لصور الفساد الأخرى كتعاطي المخدرات والخمور حتى غدت وكأنها غير محرمة، فضلاً عن التحريض على ارتكاب الجرائم من خلال إظهار منفذيها بطريقة تبدي الإعجاب بهم وتصويرهم كأبطال ينبغي الاقتداء بهم، فضلا عن عرض المواد والبرامج من خلال هذه القنوات وبشكلها المغري والمثير للغرائز عن طريق تقديم الصور المبتذلة للنساء واستخدامهن أدوات للدعاية والإعلان، وغير ذلك من المواد المثيرة التي تهدف شد المشاهد لمتابعة ما يعرض. كل ذلك أدى إلى ظهور حالة من الإدمان الذي تسبب في ظهور أعراض العادات الغير صحيحة في متابعة البرامج التلفازية وخصوصا بين الشباب والأطفال في المجتمع، فعن طريق الجلوس المستمر أمام الشاشة، فَقَدَ المشاهد أوقاتا طويلة استقطعها من أوقات مخصصة للدراسة أو للعبادة أو للعمل على سبيل المثال، فضلاً عن المشاكل الصحية الناجمة عن تركيز البصر والجلوس المستمر لساعات طوال في متابعة ما يعرض وخلق حالة من الكسل والانشغال وتعطيل للقدرات العقلية والتأملية.

ثالثا- نحو إعلام عربي جديد:

في ظل الواقع المأساوي للإعلام العربي وفي ضوء المعطيات التي ذكرناها آنفاً، لا يسعنا أن نقف مكتوفي الأيدي والاكتفاء بالنظرة السوداوية لهذا الواقع، وهذا ومن منطلق الحرص والضمير سأضع بعض المقترحات التي اعتقد بأنها كفيلة بان تساهم في صياغة واقع إعلامي عربي جديد، ينطلق في مساره من الاعتبارات المجتمعية والدولية المعاصرة، مراعيا التطورات والتشابك الحاصل بين مختلف المجتمعات في عصر الانترنت والفضاءات المفتوحة:

١- تعميق وعي الشباب العربي وثقافته، وممارسته للديمقراطية وتعويده على التعامل الحضاري مع المعلومة بايجابياتها وسلبياتها.

٢- تغيير لغة الخطاب الإعلامي العربي، ليصبح قادرا على:
- إشاعة ثقافة حرية الناس في الحصول على المعلومات بدرجة عالية من الشفافية.
- تعريف المجتمعات العربية بواقع العالم الجديد والمتغيرات الجديدة التي حصلت فيه.
- تشجيع ثقافة الحوار الديمقراطي والبناء والهادف، وتوعية المواطن بالجوانب المتعلقة بالحرية الشخصية والقبول بالرأي الأخر مع مراعاة قيم المجتمع ومعتقداته.

٣- الإفادة من التقدم في مجال تكنولوجيا المعلومات، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع بهذا الصدد .

٤- نشر الوعي المعلوماتي وتشجيع المواطن العربي لاستخدام تقنيات الحواسيب والإفادة من شبكة الانترنت، وذلك عبر:
- توفير أجهزة الحاسوب لمختلف شرائح المجتمع – في حال توفر الإمكانيات- أو على الأقل لشرائح منتخبة من ذوي العلاقة.
- بيع أجهزة الحاسوب بأسعار مدعومة لشرائح منتخبة من المجتمع.
- دعم خاص للمنتديات والجمعيات العلمية ذات العلاقة بعلم الاتصالات والحواسيب.

- تخفيض الرسوم على استيراد وبيع أجهزة الحواسيب.
- توفير خدمة الانترنيت في جميع المؤسسات، والعمل على خفض تسعيرة الخدمة إلى اقل ما يمكن بالنسبة للجمهور.

٥- تشجيع القطاع الخاص على المساهمة بفاعلية في الدخول إلى مجال الإعلام، مع الالتزام بالقيم والضوابط المجتمعية.

٦- وضع خطة جديدة لإعلام عربي تأخذ مسارين، هما:

- **المسار الأول:** وضع خطة دفاعية لمواجهة الغزو الإعلامي والثقافي، وهذه الخطة تتضمن:
- الحد من انتشار ظاهرة ما يطلق عليها "البرامج الواقعية" التي لا ترتبط بقيم مجتمعنا وثقافته، في الإعلام الرسمي على الأقل.
- التشجيع على إنتاج برامج تلفزيونية وإذاعية عربية الهوية تطرح مواضيع مهمة لها القدرة على جذب المشاهد العربي (وبخاصة الشباب)، من خلال حسن اختيار مواضيعها لتعبر عن حاجات ومتطلبات واهتمامات الجمهور العربي، لتكون بديلا عن البرامج الوافدة.
- تطوير مضامين الإعلام الوطني، من خلال إشاعة روح المواطنة، ودور المواطن في بناء الوطن، وتوعيته بأهمية القيام بواجباته كمواطن يعمل من اجل الدفاع والحفاظ على المصلحة العامة، كونها ذات مساس مباشر بحياته الخاصة.

- **المسار الثاني:** وضع خطة إعلامية لتطوير وسائل الإعلام العامة، من خلال:
- العمل على نقل التقنيات المستحدثة في مجال الإعلام والاتصال.
- العمل على إشراك العاملين في وسائل الإعلام العربي في دورات تدريبية متخصصة في الداخل والخارج بهدف تبادل المعرفة والاطلاع على تجارب الآخرين في مجال الإعلام.
- زيادة القدرات المهنية للعاملين في مهنة الإعلام، من خلال تدريبهم على كيفية الإفادة من كل الإمكانيات التي تتيحها تكنولوجيا المعلومات، وتعريفهم بطرق صياغة الخطاب الإعلامي الجديد، وكيفية مخاطبة مختلف فئات الجمهور باللغة التي يفهمونها، بغية الوصول إلى تكوين رأي عام مشترك. فضلا عن تزويدهم بالثقافات المعرفية الواسعة.
- إدارة القنوات الفضائية على أسس مهنية وإبداعية حديثة تنهج سبل التوازن والمصداقية في برامجها الإخبارية، والتنوع والجودة في برامجها الأخرى، والأخذ بعين الاعتبار المتغيرات على مستوى الجمهور، والتقنيات الحديثة، وصناعة الإعلام، بما يخدم المجتمع العربي الحديث وتطلعاته. وهذا بالطبع يتطلب إعادة النظر في البنية الإدارية والتنظيمية التي تحكم العمل حالياً، إلى جانب تطوير المنطلقات البرامجية والإخبارية بما يخدم الرؤية الجديدة لعمل هذه القنوات، إلى جانب تنمية القوى البشرية، والبعد التقني، ووضع قواعد لانطلاق عملية التجديد فيها.
- تطوير الإذاعات المحلية القائمة والعمل على فتح المزيد منها كضرورة لمنح الأبعاد الإعلامية المحلية أفقا أوسع واهتماما أكبر، الأمر الذي يعكس صورة المجتمعات المحلية من خلال التركيز على قضاياها المختلفة.
- الاهتمام بإنتاج البرامج الدرامية والوثائقية بما يخدم حاجة المجتمعات العربية. إن الاهتمام يعني أول ما يعنيه العناية باختيار المضامين المعبرة عن واقع المجتمعات العربية ومشاكلها، ووضع الحلول الملائمة لها. كما يعني سد الفراغ في واقع الإنتاج الدرامي والوثائقي العربي، والذي تم استغلاله بشكل بشع ليتم ملئه بإنتاج أجنبي بديلا عن الإنتاج المحلي، وما نتج عن ذلك من مشاكل اجتماعية وثقافية متعددة. ومن جهة أخرى فان هذا الإنتاج لو أحسن صناعته سيحقق وفرا ماليا للمحطات الإذاعية من ناحية عدم الحاجة إلى شراء الإنتاج الأجنبي، ومن ناحية الفرص المتاحة في مجال الاستقطاب الإعلاني والإيرادات المالية التي ستحقق من إذاعة الإعلانات مثل هذه البرامج، والتي تصب جميعها في مصلحة المحطة الإذاعية والتلفزيونية وتساهم في تطويرها ماديا وتقنيا وبشريا.
- تطوير الإطار البرامجي للقنوات التلفزيونية والإذاعية وبشكل خاص الفضائية منها؛ واعتماد التخطيط البرامجي المدروس القائم على التنوع من حيث الشكل والمضمون، ومراعاة تراث المجتمع العربي والتوجهات الوطنية، لتغدو هذه القنوات وسائل ربط المواطنين بمحيطهم العربي، والأخذ بعين الاعتبار حاجات الجمهور ورغباته والعادات الاتصالية ولمختلف فئات المجتمع.

ولضمان نجاح هذه الخطة فيجب أن ترتكز السياسة البرامجية على الاهتمام بنوعية البرامج وجودتها، وعلى التنوع لتعكس الخصائص الذاتية في بعض المجتمعات العربية، وتناول كافة قضايا المجتمع بغض النظر عن صعوبتها أو تعقيدها في إطار من المهنية العالية. كما يجب مراعاة عنصر الأصالة والمعاصرة من خلال تقديم الأفكار الحديثة التي تخدم المجتمع وتعمل على تطويره دون المساس بثوابته الثقافية والاجتماعية.

وفيما يتعلق بتطوير القاعدة المادية التكنولوجية والفنية لوسائل الإعلام العربية ينبغي اعتماد إستراتيجية جديدة تستند على لتوجه الجديد الذي يعتمد على فكرة التخطيط الاستراتيجي بحيث يتم مواكبة التطورات التقنية في هذا المجال ، ضمن جدول زمني محدد ،

وتوفير المستلزمات الفنية بهذا الخصوص ، وهذا يشمل ما يلي:

- وضع خطة محددة لتحديث وتطوير مطابع المؤسسات الصحفية وخاصة تلك التي عفا عليها الزمن وتزويد هذه المؤسسات بالوسائل الحديثة في مجالات الإنتاج الصحفي
- تطوير أجهزة البث التلفزيوني والإذاعي للوصول بما يكفي لإيصال الرسالة الإعلامية إلى مبتغاها.
- الحفاظ على التراث العربي من مواد فيلمية وإخبارية من خلال إجراء دراسة ميدانية لتحويل جميع ما متوفر من هذا التراث والذي يعكس تاريخ امتنا العربية ، وكذلك البرامج ذات القيمة الفنية والتراثية إلى ملفات محوسبة Data Files، وذلك للمحافظة عليها وإمكانية استخدامها والرجوع إليها في المستقبل.
- العمل على تطوير المواقع الإلكترونية لوسائل الإعلام العربية المختلفة كبدائل محتملة للإعلام التقليدي، وكوسائل بديلة للوصول إلى الشباب الذي أصبح يستخدمها بشكل لافت للنظر، ومدها بالإمكانيات التقنية والكادر المؤهل.

خلاصة البحث:

- إن ثورة الاتصالات والمعلومات التي أدت إلى ظهور " مجتمع المعرفة " أو ما يسمى بـ"مجتمع المعلومات " قد رافقها إحداث تغييرات واسعة فرضت واقعا إعلاميا جديدا، وذلك ما يؤكد أهمية التغيير في المؤسسات الإعلامية والاتصالية وخاصة الرسمية منها، والتي كانت محمية من خلال قوانين احتكار الأسواق الوطنية. لكن، ومع انفتاح سوق الاتصال على المنافسة الدولية، ومع ثورة تكنولوجيات الاتصال والمعلومات، أصبح لزاما على مؤسسات الاتصال مواكبة التطور التكنولوجي من أجل توفير القواعد الأساسية للاندماج في" مجتمع المعرفة " وللتقليل من حجم الفجوة المعلوماتية الموجودة بين المجتمعات المتطورة والمجتمعات الأقل تطورا في عالم يصنعه الإعلام.
- هناك حاجة متزايدة إلى الاهتمام بمنظمة الإعلام العربي في ظل المشهد الدولي الجديد، كما يجب إعادة النظر في السياسات الإعلامية والثقافية المجتزأة التي تعتمد على التصورات الآنية والتي تم صياغتها على نحو يحتاج إلى المزيد من الخبرة والدراية الكافية بطبيعة التغيرات التي جرت على المعرفة والثقافة وتقنيات الاتصال والإعلام في عصر العولمة، ويتم ذلك من خلال طرح تلك السياسات الإعلامية والثقافية للحوار والمناقشة من قبل مختلف الأطراف والتيارات الفكرية والسياسية وبلورتها من قبل خبراء ومن تخصصات متعددة مع ربطها بواقع التنمية الإنسانية في المجتمعات العربية ورصد الموارد المالية الكافية لتحقيق الأهداف الثقافية.

المراجع

١. **انظر عبد الرزاق الدليمي** : الإعلام الجديد والصحافة الالكترونية دار وائل للنشر والتوزيع عمان الأردن ٢٠١١.

2. **Clive Gifford:** M dias et communication., Paris : Gallimard, 1999.p.36

٣. **د.عبد الرزاق الدليمي** الصحافة الالكترونية والتكنولوجيا الرقمية. دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان.الأردن. ٢٠١١. ص٣٣.

٤. **د. محمد شطاح**، التكنولوجيات الجديدة للاتصال وتأثيرها على النشرات الإخبارية في التلفزيون. تونس. مجلة الإذاعات العربية. العدد ٣. ٢٠٠٥. ص ١٢٦

٥. **محمد توفيق سعيد**، المادة الإخبارية في القنوات الفضائية، جامعة القاهرة، كلية الأعلام، ١٩٩٨.ص.١٧.

٦. **د.إنشراح الشال**،الإعلام في زمن الفضائيات والواقع العربي، جامعة القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق،٢٠٠٠،ص٥٤.

٧. المصدر السابق.

٨. **د.عواطف عبد الرحمن** ،حرية الإعلام وتحديات العولمة،دراسات إعلامية، القاهرة، العدد: ٩٣، ١٩٩٨، ص ٧١.